عندما يعز الموت

طالت جلسة الرجال على مشارف مدينة رمانة كان الأمر جللا والخطب فادحا والقرار غاية فى الصعوبة.. ماذا هم فاعلون؟.. إذا قرروا الحركة إلى أين وإلى متى.. أيتقدمون صوب القناة ويسلمون أنفسهم طواعية لليهود ليفاضلوا بينهم.. يواجه معظمهم الأسر وينقلون فى شاحنات الى معسكرات النازى ويلقى البعض الآخر الموت رميا برصاصاتهم الغادرة وينجو قلة منهم تشاء الأقدار نجاتهم فيعبرون القناة ضفة النجاة المسماة بالضفة الغربية أم يرتدون على أدبارهم ويعودون من جديد من حيث أتوا الى الشيخ عيد زعيم قبيلة العبايدة فى بير العبد.. يتزوجون من بناته وينخرطون ضمن رجال القبيلة فى أعمالهم التى تنحصر فى رعى الأغنام والأتجار فى الدخان.. سكون رهيب ران الصمت على جلسة الرفاق وشملهم جميعا بلا استثناء وأخيرا تحدث صلاح وجاء صوته خفيضا حزينا خافتا كأنه صدر من العالم الآخر من عالم الأرواح عالم الأشباح نزلت كلماته عليهم كالصاعقة ألجمت السنتهم وجمدت أفكارهم واصابتهم بالذهول والصدمة.. أطلق صلاح قنبلته الأخيرة فى مرحلة قيادته للمجموعة زلزلت قنبلته كيان الجميع وفجرت آثارا بركانية كانت قد اختفت داخلهم طوال مشوارهم الشاق.. لابد أن نتخلص من الحياة بإرادتنا ، لا أن نحرر أرواحنا من